

الجمعة 18 أيار 2007 - العدد 2617 - صفحة 11

عشيرتان مارونية وشيعية تمتدان من الريف الشمالي الى الجرد الهرملي





















ف.ر

يوجد في لبنان عشيرتان، واحدة مارونية في الريف الماروني الشمالي، واخرى شيعية في ريف الشريط الشرقي من السلسلة الغربية، وبالأخص في منطقة الجرد الهرملي.

وقد تشكلت كل واحدة من هاتين العشيرتين بشكلها الخاص بمساهمة شروط سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة لكل واحدة منهما. وتنقسم عشائر الهرمل الشيعية الى قسمين: شمصية (شمص ـ علوه، دندش ـ علام ـ عواد ـ ناصر الدين ـ علاء الدين)، وعشائر زعيترية (زعيتر ـ جعفر ـ نون ـ أمهز ـ مقداد ـ الحاج حسن ـ شريف ـ رباح). وتنتمي هذه العشائر بقسميها الى عصبية عامة وموسعة، تعرف بالعشائر الحمادية. والحمادية هي صيغة سياسية توحد الأفخاذ الشمصية والزعيترية حول جب عبد الملك من عشيرة آل حمادة صاحبة الموقع السلطوي (المشيخة)، ولذا حملت الأفخاذ العصبية هذه اسم

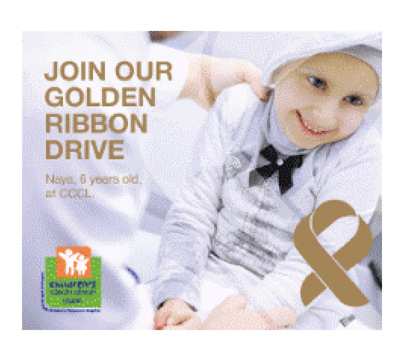
"الحمادية".

والمساحة الجغرافية التي تتواجد فيها العشائر اي الجرد الهرملي، تقع في الطرف الشمالي من سهل البقاع وفي غربي مدينة الهرمل الواقعة على تلة فوق نهر العاصي. ويمتد الجرد الهرملي على السلسلة الغربية محاذيا جنوبا بلدة عيناتا المارونية، ومنبسطا نحو الشمال حتى الحدود السورية. ويفصله عن اقضية وقرى الشمال اللبناني خط طويل من القمم ينتشر على طول حدوده الشمالية الجنوبية. ومن الشرق يتوقف عند نهر العاصي.

تتوزع افخاذ العشائر الهرملية الشيعية على البلدات والقرى في الجرد الهرملي، بين حمادة في الهرمل ودندش في العين والهرمل. آل شمص يتوزعون بين الهرمل والخرايب وشعث وبوداي، وآل جعفر في الدار الواسعة والشراونة وجرد الهرمل. يسكن آل ناصر الدين في الهرمل ايضا، وفي الشربين وزغرين وبريصا. اما آل علوه وعلام وعواد وعلاء الدين فيتوزعون بين الهرمل المدينة، ووادي الرطل ووادي التركمان وزبود. وهذا التوزيع السكاني لا يلحظ افراد العشائر الساكنين في اماكن أخرى بأعداد قليلة، انما يركز على سكن الكتلة الاكبر من العشيرة في سكنها الصيفي والشتوي.

النزوح نحو الهرمل

كانت مناطق جبيل والبترون والزاوية تخضع لحكم المشيخة الحمادية في اطار النظام المقاطعجي الذي كان سائدا في جبل لبنان، وكانت المشيخة خاضعة لسلطة والي طرابلس، فتجمع له الضرائب من الفلاحين. حكمت المشيخة الحمادية تلك



المناطق نحو قرنين قبل ان تتلقى ضربة قاضية على يد الامير يوسف الشهابي سنة 1770، ازالت نفوذها نهائيا من مناطق الجبل بعد نصف قرن على معركة عين دارة.

في بداية الأمر نسجت المشيخة الحمادية علاقات طيبة مع الامارة الشهابية، الا انها لم تعمر طويلاً بسبب سياسة الشهابيين في توسيع نفوذهم، ونتيجة تلكؤ الحماديين في تسديد الضرائب بانتظام الى والي طرابلس الذي كان يساهم الى حد بعيد في تأجيج الصراع ضدهم. بدأت مسيرة الصراع بين الطرفين تشتد حيناً وتفتر حيناً آخر، الى أن جاء الأمير يوسف الشهابي، وتسلم زمام الأمور فجيش حملة على الحماديين، ودارت معارك بين الجانبين هزم فيها "المتاولة" بالرغم من مساندة والي طرابلس لهم في تلك الفترة.

بدأ مع هذه الهزيمة نزوح الحماديين نحو المناطق الشرقية من سلسلة لبنان الغربية، فانتشروا من بلدة شمسطار جنوباً حتى الهرمل والمناطق الجردية المجاورة لها شمالاً.

لم يحصل النزوح دفعة واحدة، بل كان يتم على دفعات متتالية استمرت بوتائر مختلفة حتى أيام الأمير بشير الثاني، وقد استقر الحماديون النازحون في بلدة الهرمل، اما الوحدات القرابية الأخرى، فقد اتخذت من الجرد موطناً أصلياً لها.

الجرد الهرملي في عهد الانتداب

في السنوات العشرين الاولى من القرن الماضي، كانت السلطة في منطقة بعلبك الهرمل قد استقرت شيعيا في عصبيتين رئيسيتين: عائلة حيدر وعائلة حمادة. انتشرت الاولى في مدينة بعلبك وبلدتي بدنايل واللبوة، وقد بنت نفوذها السياسي بفعل الموقع الرئيسي بين العائلات في المنطقة والذي حققته في العقد الأخير من عمر السلطنة العثمانية، والمكانة السياسية التي حظيت بها أيام الحكم العربي، هذا عدا عن استخواذها على مساحات ضخمة من الأراضي في المنطقة. واقامت عائلة حمادة في بلدة الهرمل منذ نهايات القرن الثامن عشر، وقد رسخ نفوذها السياسي تمثيلها شيعة الهرمل سياسيا، عدا عن زعامتها العشائرية على كتلة واسعة من العصبيات العائلية والعشائرية، بالاضافة الى ملكياتها الواسعة في الهرمل وخراجها. هذه العوامل صنعت للعائلتين تراثاً سياسياً عبر عن نفسه بـ "البك" عند آل حيدر وبـ "الشيخ" عند آل حمادة.

تمثلت الطوائف الكاثوليكية في منطقة بعلبك ـ الهرمل بعائلة "المطران" صاحبة الدور التاريخي الأبرز في بلاد بعلبك في تلك الفترة. هذه العائلة قطنت في مدينة بعلبك، وحظيت بنفوذ سياسي واسع، لم تحرزه أي عصبية أخرى أياً كان لونها الطائفي، وقد استمدت مكانتها البارزة من الدعم الكبير الذي تلقته من حاكم الولاية في دمشق ومركز السلطنة في آن، وبشكل خاص الدعم الذي ناله نخله باشا المطران زعيمها التاريخي. والغرض من دعمها كان اقامة التوازن "الاقليمي" بين بعلبك وزحلة: والتوازن السياسي بين زعامتيهما الكاثوليكية.

سنياً تمثلت المنطقة في عصبيتين الأولى لآل الرفاعي في مدينة بعلبك. ونفوذ آل الرفاعي سببه النسب الشريف، فهم وحدهم من أهل السنة في المنطقة، وقد اعفوا من أعباء الضرائب المفروضة على العصبيات الأخرى من مسلمين ومسيحيين على حد سواء بسبب علاقة السلطنة العثمانية بأشراف المسلمين في ولايات السلطنة.

العصبية السنية الثانية، عصبية آل سكرية من بلدة الفاكهة (شمالي بعلبك)، وقد بنت نفوذها على أدوار ومواقع، منها دور الوكالة المحلية الذي عهدت به اليها امارة "الحرافشة" على فترات في جمع الضرائب من الأهلين، أو المساعدة على جبايتها. وقد أتاح لها ذلك أن تشكل أحياناً، احدى الادوات العسكرية للامارة، ومنها موقع الوظيفة الادارية الذي شغلته في مجلس قائمقامية بعلبك، بعدما تحولت المدينة الى مركز قضاء يديره قائمقام تركي.

حققت العائلة السياسية السنية نفوذاً كبيرا في عهد قائمقامية بعلبك العثمانية (1870 ـ 1914) ومن ثم في ظل الحكم العربي (1918 ـ 1920)، لكن هذا النفوذ أخذ يفقد بريقه مع الانتداب الفرنسي الذي حاول تهميشها بسبب دعمها وتأييدها للحكم العربي. لذا لم تثمر محاولتها المبكرة في التكيف مع المرحلة الجديدة، حين ترشح "وجيهها" الأبرز عبد الغني الرفاعي الى الانتخابات النيابية في العام 1925، فتقلّص تأثيرها السياسي، وانكمشت فاعليتها داخل التوازنات العصبية، خصوصاً بعدما كان التمثيل السياسي السني في البقاع يأتي لفترة طويلة من خارج منطقة بعلبك ـ الهرمل.

أما العصبيات العشائرية، فقد انتشرت في الجرد الغربي التابع ادارياً للهرمل، مركز القضاء ، وانقسمت الى محورين: الأول شمصي ويضم آل شمص، وعلّوه، وناصر الدين، ودندش وعلاّم. والثاني زعيتري وفيه: زعيتر، جعفر، المقداد، الحاج حسن وأمهز.

وانتشر قسم آخر من العائلات ـ العشائر (المارونية) في جبال لبنان الغربية، في شليفا، ودير الأحمر، وعيناتا، ونبحا، والقدام وغيرها من القرى التي توزعت في مساحات جردية واسعة. ومن أبرز تلك العائلات: حبشي وكيروز وطوق وفخري وجعجع وندّاف.

تحقيقات

الاكثر قراءة فى « تحقيقات »











الشركة العربية المتحدة للصحافة - جريدة المستقبل - شارع سبيرز - بيروت - لبنان - هاتف: 961-1-746301 - فاكس: 961-1-746312